دراسة رمزية المضامين الإجتماعية عند مَعروف الرُّصافيّ ومهدي أخوان ثالث

طالب الدكتوراه هادي أخلاقي

dr.h.akhlaghi100@gmail.com

الأستاذ المساعد الدكتور فريبرز حسين جانزاده (الكاتب المسؤول)

janzadeh46@gmail.com

الأستاذ المساعد الدكتور محمّد جعفري

جمهورية إيران الإسلامية

قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة آزاد الإسلامية فرع كاشمر

Comparative symbolism in social issues of Maruf Al-Rasafi and Mehdi Akhavan Sales

H. Akhlaghi

Ph.D. Student Arabic language and literature Dept, Islamic Azad Uni, Kashmar

(F. Hosaenjanzadeh (corresponding author

Assistant professor of Arabic Language and Literature Dept, Islamic Azad uni, Kashmarbyanch Iran

Jafari.M

Assistant professor of Arabic Language and Literature Dept, Islamic Azad uni, Kashmarbyanch Iran

الملخص:-

إنّ الرمز يعتبر بأحد الطرق الفنية التي يتّخذه الأديب لكي يعبّر عن عواطفه وهواجسه وهذا الرمز يتقن أسلوب الشعر والنثر؛ وإنّ الرمز يعطي النصّ بُعداً عميقاً ورحباً وحركة فاعلةً في كلماته و دلالاته. مازال الأدب المقارن يعالج القواسم المشتركة بين شعوب مختلفة ومنذ القدم هذا الأمر يتّضح بين الأدب العربي والفارسي الذي لهما جذور عريقة في علاقاتهما المشتركة؛ إنّ معروف الرصافي الشاعر العراقي ومهدي أخوان ثالث من كبار الشعراء الإيرانيين اللذان يبحثان عن المجتمع وآلامه بصورة رمزية. والمضامين الاجتماعية تعتبر مقوّماً من المقوّمات الشعرية في الأدبين العربي والفارسي الّتي وظّفها معروف الرصافي ومهدي أخوان ثالث كعنصر فنّي لإبراز أفكارهما وعواطفهما ووصفًا خلالها المجتمع الشعبي؛ إنّا في هذه المقالة نعالج رموز موظفة عند معروف الرصافي ومهدي أخوان، ومن أشهر المضامين التي استفادها الرصافي وأخوان ثالث بين قصائدهما هو الفقر، العدالة، المرأة، والمجتمع. و المنهج الذي اعتمدناه في هذه المقالة هو المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية:- الرمز - المقارنة - الإجتماع - معروف الرصافي - مهدي أخوان ثالث.

Abstract:-

Symbolism is one of the literature artifices which is used by a literary man or woman to express his /her emotions and concerns and to stabilize the methods and structures of poems and proses. Really, encoding gives the text a deeper and wider perspective and its words and strategies an active move. Generally comparative literature surveys the common points between different nations. From the past, between the Arabic and Persain literature, with original roots in relationships, this fact has been evident. Maruf - al - Rasafi, the Iraqi poet, and Madi Akhavan Sales, one of the greatest Iranian poets, are of those who symbolically surveyed their societies and their agonies. Social issues are poetic elements in Persian and Arabic literatures. Maruf Rasafi and Akhavan Sales use them as an artistic technique to clarity their thoughts and emotions and to describe societies. In this article, we survey the symbols used by Maruf Rasafi and Akhavan Sales. Poverty, justice, woman and society are among the commonest issues which have been surveyed by them in their elegies. The method applied in thi article is descriptive and analytic.

Key words:- symbolism, comparative, society, Maruf Rasafi, Akhavan Sales

١ـ المقدّمة

الأدب هو الرصد الوجداني العميق الدقيق لكلّ نبضات القلب الاجتماعي في حركته المستمرة في جميع المجالات. و الوعي لطبيعة هذه الحركة و الإدراك لخط سيرها ومعرفة إتجاه هذا المسير يضمن القدرة على التغيير و التمكن من التقدّم. لم يكن الأدب يوماً بمعزل عن الحياة ولم تكن الحياة بمعزل عن الأدب. ولكن الأدب دائماً وعلى مرّ السنين يتصل بالحياة إتصالاً قوياً، يعيش أحداثها ويحمل أعباءها ويتأثر بكلّ ما فيها من خير وتقدّم وسلام، أو شرّ وتخلّف وصراع. ولم يكن الأدب الحديث يختلف عن غيره من الآداب ولكنّه يتفق معها في تصوير المجتمع الذي يعيش فيه، وحمل أعبائه ومشكلاته وتسجيل خواطره وأفكاره ونقل آثاره النافعة وأخباره المفيدة. هذا ومع بدايات القرن التاسع عشر كان الشعر العربيّ يعيش عصراً مظلماً في كلّ النواحي، وكان قد أصبح نمطياً وسطحياً موجّهاً للزّينة و التسلية الخفيفة. وعندما بدأت النهضة الأدبية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أظهر الشعراء ميلاً غريزياً إلى العودة إلى التعلّم من أفضل نماذج التعبير الشعري الكلاسيكي. وكان هذا اندفاعاً صحيحاً، أمله حاجة الفنّ نفسه، لكي يكتسب من جديد قوة الأسلوب وإحكام التعبير، وذلك ليتغلّب على الضعف اللغوي والأسلوبي الذي تولّد خلال قرونٍ من الركود الشعري. (اليسوعي، ١٩٩٦، ج١، ص١٢٥) الأدب المقارن يقف في مركز وسط بين الآداب ليرقب حركة التيارات العالمية و تأثيرها على الأدب القومي و تأثير هذا الأدب القومي في غيره من الآداب. وتتمثل مظاهر هذا التأثير في الاستعارات الصريحة، وإنتقال الأفكار، والموضوعات والنماذج الأدبية للشخصيات من أدب إلى آخر(السعيد،١٩٨٩م:٤١)، والأدب المقارن هو العلم الذي يدرس العلاقات المتبادلة بين الآداب المختلفة فيدرس تأثير الأدب العربي في الأدب الفارسي وبالعكس - مثلاً - في موضوع معين و نحن نتناول بعناصر هذه اللغة الشعرية في أشعار مهدي أخوان ثالث ومعروف الرصافي. والرصافي في الأدب المعاصر العربي ومهدي أخوان ثالث في الشعر المعاصر الفارسي كانا من أوائل الطليعة الواعية التي تفاعلت مع آمال الشعب، وعنيا عناية خاصة بقضاياهم الاجتماعية والسياسية، ولاسيما الفقر والحرمان لأنّهما منذ أن فتح عينيهما رأيا نفسهما ومجتمعهما في الفقر والحرمان يتألمان تألماً شديداً منهما، فحاولا أن يحلّا هذه المشكلة كمحلل اجتماعي حاذق، وهذا المقال توضيح مسلكه ولم يتطرق

ناقد آخر إلى هذا الموضوع من قبل إلا أنَّ هناك عدداً كثيرا من الكتّاب والنقّاد تكلّموا عن الرصافي ومهدي أخوان ثالث في آثارهما، والمحقّق يعالج هذه المضامين الإجتماعية في دواوين هذين الشاعرين مقارنةً.

٢- أسئلة البحث

نواجه في هذا المقال عدّة أسئلة ونريد أن نجيب عنها:

١- ما هي المضامين الإجتماعية وما هي أنواعها؟

٢- لمَ يوظّف الشاعران الرُّصافي وأخوان ثالث الرمز الفنّي لبيان هذا المفهوم؟

٣-كيف استخدم أخوان ثالث و الرصافي هذه التقنية الفنية في الأدب؟

٣- خلفية البحث

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّه لم يوجد لحدّ الآن - فيما نعلم - دراسة تناولت موضوع دراسة مقارنة حول اللغة الشعرية بين معروف الرصافي و مهدي أخوان ثالث؛ الأمر الذي فتجلي معه جدةً الموضوع. وهناك عديد من الدراسات التي تناولت موضوع المضامين الاجتماعية بين الأدبين العربي والفارسي، منها فيما يلي: انتشرت دراسة مقارنة حول ((جريان سمبوليسم اجتماعي در شعر مهدي اخوان ثالث))، من عيسي داراب پور، زينب افضلي؛ في مجلة البحوث في النقد الأدبي والأسلوبية سنة ١٣٩٠ش - العدد ٦، ص٧٩ إلى ٩٤. مقالة أخرى بموضوع ((رمزگشايي واژه شب در سروده هاي عبدالوهاب البياتي و مهدي إخوان ثالث))، مِن عباس عرب و معصومه نقي بور، طبعت في مجلة الأدب المقارن جامعة رازي كرمانشاه، سنة ١٣٩١ش، العدد ٦، ص ٩١-١٠٤.أيضاً توجد مقالة أخرى يتمحور بِ ((الانزياح ودلالاته الخيالية في شعر مهدي أخوان ثالث وسعدي يوسف (دراسة مقارنة في الصور الشعرية المحولة لدي الشاعرين) الكاتب: سليمي، علي؛ كياني، رضا؛ في مجلة: بحوث في اللغة العربية وآدابها، خريف وشتاء ١٣٩١ - العدد ٧، ص٧٥ إلى ٩٢.انتشر بحثٌ بموضوع ((تجليات المفارقة التصويرية بين معروف الرصافي ومهدي أخوان ثالث)) من باشا زانوس، أحمد؛ خالقي، علي؛ في مجلة الأدب المقارن، شتاء ١٣٩٣ - العدد ١٦، العدد ٢٣ إلى ٤٤. مقالة علمية ((ميراث گرايي در شعر مهدي اخوان ثالث و

أمل دنقل)) من الكتّاب: محمدهادي مرادي، وجواد عيدروياني، في مجلة البحوث الترجمة في اللغة العربية و آدابها، شتاء ١٣٩٠، العدد ٢، ص٢٧-٥٠. وكان بحثٌ علميٌ أي ((التناص القرآني في شعر أحمد مطر و مهدي أخوان ثالث))، من الكاتب برويز أحمدزاده هوج، طبعت في مجلة الأدب المقارن، شتاء ١٣٩٣، العدد ١٦، ص١-٢٢. وكذلك مقالة ((كشمكش سياسي - اجتماعي در شعر خليل حاوي و مهدي اخوان ثالث))، الكاتب: شهلا شكيبايي فر، محسن بيشوايي علوي، مجلة الأدب المقارن بجامعة كرمان، ربيع و صيف ١٣٩٧ش، العدد ١٨، ص١٢٣-١٤٤. مع هذا لم يبحث عن المضامين الاجتماعية بين معروف الرصافي و مهدي أخوان ثالث بصورة تطبيقية، ونحن قمنا بإيراد هذا البحث وتحليل حوله واعتمدنا في دراستنا هذه منهجاً وصفياً قائماً على التحليل والإستنتاج في الطرق الفنية التي سَلكها الشاعران معروف الرُصافي ومهدي أخوان ثالث.

٤- الرمز في اللغة والاصطلاح

الرمز في اللغة الإشارة والإيماء (إبن منظور،١٩٨٨م،مادة ر م ز) وهو في الإصطلاح الأدبي ظاهرة فنية لافتة للنظر في شعرنا الحديث، وتقنية من تقنياته الحداثية التي أسرف الشعراء في استخدامها للتعبير عن تجاربهم وأفكارهم ومشاعرهم بطريقة غير مباشرة. والرمز بمعناه العام هو" الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري، مع اعتبار المعنى الظاهري مقصوداً أيضاً(عباس، ١٩٩٦م، ص٢٠٠). وهو بلغة أخرى" عبارة عن إشارة حسية مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس.(زايد، ٢٠٠٨م،ص٨٥). وتحديده بمعناه الدقيق" يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية أو الصور الحسية التي تؤخذ قالباً للرمز، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع تحصل على الرمز. (أحمد، ١٩٨٤م، ص٤٠). وعلى هذا فإنّنا في الرمز الشعري لا نستطيع أن نستغني بالرمز عن المرموز إليه، أو بعبارة أخرى لا نستطيع أن نستغني بالمعطيات اللاحسية - التي تتخذ رموزًا - عن الحالات المعنوية التجريدية التي يرمز إليها بهذه المعطيات كما لا يمكن بالمقابل أن نستغني بالمرموز إليه عن الرمز، لأنّ الرمز كل غير قابل للتجزئة تفنى فيه الحالات المعنوية التجريدية في المعطيات الحسية التي تتخذ رموزًا لها، كما تفقد المعطيات الحسية ماديتها وتتحوّل إلى دلالات تجريدية، والشاعر الذي يستخدم الرمز لا يقصد إلى معنى يخفيه ثم

يحاول أن يعبّر عنه بطريقة أخرى تنوب عنه، فإذا وجدنا المعنى المقصود استغنينا به عن العمل نفسه، إنّ الرموز لا تصنع بهذه الطريقة؛ وبعبارة أخرى إن المستوى الحرفي أو الظاهر لا يُسخّر طريقة مصطنعة واضحة للتعبير عن معنىً آخَر، المعنى الثاني ينمو نمواً باطنياً من المعنى الأول(زايد، ٢٠٠٨م، ص٨٥).

٥- توظيف الرمز

يمكن الكشف عن الوظيفة التي يؤديها الرمز في السياق الأدبي بالسؤال عن الحاجة إلى استعمال الرمز، ولا شك في انّ جزءاً من الإجابة يمكن في سمات الرمز نفسه، بما يحمله من قدرة على الإيحاء وفعل مؤثر في اغناء دلالة النص، حين يعمل في مجاله الفني الصحيح فالفنّ أكثر الميادين التي يحلّ فيها لرمز محل الأشياء و الموضوعات التي قد تظلّ واضحة؛ مكشوفة للإدراك، فتزداد قيمة الرمز و أثره بكونه تعبيراً لا شعورياً قد يمثل الضمير الجمعي أحياناً، فيتجاوز الواقع إلى الإيحاء به، فهو قد يبدأ من الواقع ولكن لا يرسم الواقع، بل يرده إلى الذات و فيها تنهار معالم المادة وعلاقاتها الطبيعية لتقوم على انقاضها علاقات جديدة مشروطة بالرؤيا الذاتية. فالمبدع به حاجة إلى وسيلة تعبير تنقذه من الخضوع إلى بؤس الواقع المحدود فكان الرمز الأداة التي تستطيع احتمال الحاجات التي يجب وضعها في صياغة فنية تجسد مظاهر التجربة الشعورية وأعماقها (كندي،٢٠٠٣م،ص٤٧). الرمز ظاهرة فنية لافتة للنظر في شعرنا الحديث، وتقنية من تقنياته الحداثية التي أسرف الشعراء في استخدامها للتعبير عن تجاربهم وأفكارهم ومشاعرهم بطريقة غير مباشرة. والرمز بمعناه العام هو الدلالة على ما وراء المعني الظاهري، مع اعتبار المعني الظاهري مقصوداً أيضاً؛ واستخدام الرمز في الشعر دليل على عمق ثقافة الشاعر من جهة وعمق النضج الفكري من جهة أخرى إذ لابد للشاعر الذي يرغب في توظيف الرمز في شعره من ثقافة و تجربة واسعة؛ لانّ الرمز الشعري مرتبط كلّ الإرتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر والتي تمنح الأشياء مغزي خاصاً(عباس، ١٩٩٦م، ص٢٠٠).

٦- الحياة الأدبية لمعروف الرصافي ومهدي أخوان ثالث

ولد الشاعر معروف الرصافي سنة ١٨٧٥م ببغداد حيث أكمل دراسته فبها تحت تعليمات أساتذة كالشيخ محمود شكري الآلوسي. (بركة، ٢٠٠٥م، مجلة مفكرة الإسلام)

وهو الذي قال له: ((سيكون لك يا معروف شأن فيما بعد، فإن كانت الكرخ تفتخر بمعروف الكرخي فما أحرى الرصافة بأن تفتخر بمعروف الرصافي.)) (زكي، ١٩٤٥م: ١٩٦) انتقل إلى القسطنطنية والقدس إلا أنه عاد بعد إتمام دراسته إلى وطنه و عمل كنائب الرئيس لجنة الترجمة والتعريب ثم انتخب عضوا في مجلس النواب خمس مرات مدة ثمانية أعوام. (الأعظمي، ٢٠٠١م: ١٥٨) وعندما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني ببغداد في أوائل الحرب العالمية الثانية نظم أناشيده وكان من خطبائه ولما فشلت عاش في شبه عزلة من الناس إلى أن توفي في بيته ببغداد سنة ١٩٤٥م. (الفاخوري، ٢٠٠٢م: ٤٨٧) امتاز أسلوب الرصافي بمتانة لغته ورصانة أسلوبه، وله آثار كثيرة في النثر والشعر واللغة والآداب؛ أشهرها ديوانه "ديوان الرصافي" حيث رتّب إلى أحد عشر باباً في الكَون والدين والاجتماع والفلسفة والوصف والحرب والرثاء والتاريخ والسياسة وعالم المرأة والمقطعات الشعرية الجميلة.

وُلِدَ مهدي اخوان ثالث الملقب ب (م. اميد) في مدينة طوس الواقعة بمنطقة خراسان في عام ١٩٢٨م. أنهى دراسته الابتدائية في مدينة مشهد، ثم ما لبث أن انتقل إلى طهران، حيث واصل فيها دراساته الأدبية، فضلا عن براعته في إنشاد الشعر الحر، كان أخوان ثالث يجيد إنشاد الشعر التقليدى قله دواوين شعرية عديدة مطبوعة في إيران منها: ارغنون (١٩٥١م)، زمستان (١٩٥٩م)، آخر شاهنامه (١٩٩٩م. از ايـن اوستا (١٩٩٦)، وپاييز در زندان (١٩٧٦ش). توفي أخوان ثالث في طهران عام ١٩٩٠م.(حقيقت،١٣٦٨: ٦١) نظم اخوان ثالث معظم أشعاره في الموضوعات الاجتماعية وظهرت نزعتان مختلفتان في قصائده، إحداهما النزعة الواقعية والأخرى النزعة الرومانسية. تتمثل النزعة الواقعية في أشعاره السياسية والاجتماعية بينما تتجلى نزعته الرومانسية في معظم أشعاره الغنائية. تناول اخوان ثالث أهم الموضوعات الشعرية منها: و لغة الكبير بالأساطير الإيرانية، وإحقاق العدالة، والمطالبة بالحرية والبحث عن عالم بدون ظلم، وإشاعة الفضيلة، والذود عن الوطن، وإيقاظ الشعوب وتحريرها من أسر الجهل والفساد، وتبجيل المرأة والإشادة بمكانتها الاجتماعية والتعبير عن الحقائق الاجتماعية في صور عاطفية موحية. (براهني، ١٣٧١ش؛ ١٠٠٠).

٧- المضامين الإجتماعية بين الأدبين العربي والفارسي:

الأدب المقارن كعلم ممنهج وذي أسس علمية، علم حديث يرجع ميلاده إلى أواخر

القرن التاسع عشر في فرنسا، ثمّ في سائر البلدان الأوروبية و قد نشأ هذا العلم في الأدبين العربيّ و الفارسيّ المعاصرين في النصف الثاني من القرن العشرين. ولكنّ المقارنة في الأدب على شكلها البدائي و الساذج كانت لها جذور و ملامح في تراث العرب و الفُرس الأدبي القديم (پروپني،١٣٩١هـ.ش:١٠١). إنّنا لا يمكن أن نجد مجموعة من الآداب في العالم كلّه بلغت في إتصالاتها و تأثيراتها المتبادلة ما بلغته الآداب الإسلامية، لاسيما و أنّ هذه التأثيرات المتبادلة لم تتوقّف عند عصر معين، بل امتدّت عبر الزمن و تواصلت في القديم و الحديث معاً و اتّخذت أشكالاً و صوراً متنوعة. يقول الدكتور صلاح فضل: ((إذا كان كلّ عمل جمالي له مذاق خاصّ فإنّ مهمة الناقد هي إلتماس الخصائص الّتي تشير إلى هذا المذاق، مستثيراً في بعض الأحيان حالات الشجن الحنون أو الغربة الموحشة أو الشوق المتّقد أو العظمة المهيبة لكن ينبغي لهذه الأفكار التحليلية أن تخفي عنّا طبيعة هذا المذاق نفسه)) (فضل،١٩٨٧م: ٣٥٠). إنّ معروف الرصافي و مهدي أخوان ثالث يوظّفان المفاهيم الإجتماعية بين قصائدهم لكي يعبّر عن آلام و هواجس مجتمعهم و الرمز يلعب دوراً ممتازاً في هذا التعبير:

٧-١ عدم الحيوية في المجتمع.

إنّ الحديث عن مجتمع الإنسان المعاصر هو حديث عن الهمّ و الحزن، و ذلك لكثرة ما ابتليت به المجتمعات اليوم من آفات أخلاقية و اجتماعية و اقتصادية جعلت الإنسان ينظر إلى مجتمعه من زاوية معتمة مظلمة يطلّ عليها من نافذة الهمّ و الحزن، و هذه سمة غالبة على الشعر المعاصر. كما نلاحظ في الأبيات التالية من شعر مهدي أخوان ثالث هذا المفهوم و الشاعر يصوّر الأوضاع السلبية في المجتمع الإيراني يتّجه كلّ شيء إلى الموت و العدم و أخوان يرمز لفظ "تاراس بولبا":

((و در آن چشمه هايي هست

كه دايم روييد و رويد گل و برگ بلورين بال شعر از آن

ومينوشد از آن مردي كه ميگويد:

((چرا بر خويشتن هموار بايد كرد رنج آبياري كردن باغي كز آن گل كاغذين رويد؟))

بانجائي كه ميگويند روزي دختري بودهست

كه مرگش نيز چون مرگ تاراس بولبا نه چون مرگ من و تو مرگ پاك ديگري بودمست))

(أخوان ثالث،١٣٧٠هـ.ش: ٩٤و٩٥)

يستخدم أخوان ثالث من نماذج المفارقة في قصائده ويتحدّث الراوي عن ((پوستين)) وهو التراث في شعره القديم.((پوستين)) و هو قديم ويعدّ تراثاً لأجداده في لغة الرمز. وقد سعى الراوي مرّات عديدة حتى يجدّد جلده وتغير اليوم ودهره، وحينما يتوقّع الشاعر مِن عدّة جهوده ويأمل الوصول إلى ما يهتمّ به ويصغي الشاعر إلى ما أخذت مِن الظروف ألتي تتحسن؛ ويبدأ الراوي مغامرة حتى يتغير حياته ولكن لم يصل إلى نتيجة حسنة وفي هذا السبيل يخيب و يستفيد الشاعر من التهكم والإستهزاء حيث يقول في مجموعة شعرية باسم ((آخرِ شاهنامه)):

داشت كم كم شبكلاه و جُبّه من نوتَرك مي شد

كشتگاهم برگ و بر مي داد

ناگهان توفان خشمي با شكوه وسرخگون برخاست

من سپردم زورق خود را به آن توفان و گفتم هرچه بادا باد

تا گشودم چشم ديدم تشنه لب بر ساحل خشك كشف رودم

پوستينِ كهنه ديرينه ام با من

اندرون ناچار مالامال نور معرفت شد باز

هم بدانسان كز ازل بودم.

(أخوان ثالث،١٣٧٠هـ.ش: ١١٨)

رأى الرصافي الإهمال والتواكل والتخاذل من آفات تطور المجتمع؛ لأنها تهدم حيويته وتودي به إلى الهلاك والتأخر في ميدان الحياة الفسيح! وعكس ذلك النشاط فهو حياة وحياة، وعمل وعمل؛ فيدعو الناس أن يهبوا من رقدتهم وأن يخلعوا ثياب التواكل والإهمال؛ وهو يأسي لحالهم إذ يرى ثرواتهم بسبب الإهمال والتواكل والتخاذل تتبدد وتتلاشي وتذهب سدى دون ما إدارة رشيدة أو حسن استغلال:

لا تســـــتنيموا للزمـــــان تـــــوكلا فالـــــدهر نـــزّاء لـــــه وثبـــــات

فـــإلى مـــتى تســـتهلكون حيـــاتكم فوضـــى وفـــيكم غفلـــة وأنـــاة

إن الـــــبلاد إذا تخـــــاذل أهلـــــها كانـــت منافعهـــا هـــي الآفـــات

(الرصافي،٢٠٠٢: ١٣٥)

إنّ أخوان ثالث في قصيدة ((پيامي از آن سوي پايان)) ينتقد من أوضاع ايران التي يخوض في الظلم و الركود:

ما در سايه آوار تخته سنگ هاي سكوت آرميده‌ايم / گام هامان بي صداست / نه بامدادي، نه غروبي / وينجا شبي است كه هيچ اختري در آن نمي درخشد /... نه سينه زورقي، نه دست پارويي / اينجا موج اگر بود، با كه در مي آويخت؟ **(اخوان ثالث،١٣٩٢: ٨٩)**

إنّ الشاعر في قصيدة ((زمستان)) يؤكد على عدم القيام و الحركة تجاه الإستبداد:

سلامت را نمي خواهند پاسخ گفت / سرها در گريبان است / كسي سر برنيارد كرد پاسخ گفتن و ديدار ياران را /... كه سرما سخت سخت سوزان است / حريفا ! گوش سرما برده است اين، يادگار سيلي سرد زمستان است / و قنديل سپهر تنگ ميدان، مرده يا زنده/ به تابوت ستبر ظلمت نه توي مرگ اندود، پنهان است **(اخوان ثالث،١٣٨٢: ١٠٧-١٠٩)**

٧-٢. الفقر كعنصر إتساقي

قد ذكر كثيرون ممن عاصروا معروف الرصافي أنّ نفسه كانت تنجذب إلى كلّ أعمال البرّ فيدعو إلى إعانة البائس، أو كفالة اليتيم. إنّ يوسف عزالدين يقول: إنّ هذه القصيدة صورة رائعة للفقر في أجسم مظاهره، عندما يدهم الإنسان الجوع و المرض و العوز فما كان من أخته المسكينة إلّا الاستعانة بالجيران؛ ولكن هل يساعد الجيران و يحسنون إليها كل يوم وإذا أمدوا بالطعام فمن أين الطبيب المداوي (عزالدين،١٩٦٠: ٢٨١) يعتقد الرصافي بأنّ الفقر يقود الإنسان إلى الكفر:

إن ســـــقماً بـــــه وعُقمـــــاً ألمـــــا تركـــــاه يـــــذوب يومـــــاً فيومـــــاً

فهـــو حينـــاً يشـــكو إلى الســـقم عـــدماً و هـــو يشـــكو حينـــاً إلى العـــدم ســـقماً

ظـلّ يشـك وللأخـت ضـعفاً وعجـزاً إذ يعزيـــه وهـــو لاي تعـــزي

أيهـا الأخـتُ عـزَّ صـبري عـزا إن للـــداء في المفاصـــل وخـــزا

باكيـــاً مـــن كليهمـــا بانتحـــاب مثـل طعـن القنـا و وخـز بـالحراب

(الرصافي، د.ت: ٩٦)

إنَّ أخوان ينشد في أبيات ((ناگه غروب كدامين ستاره؟)) عن الفقر و الظرائف الراهنة في إيران؛ و يكون أخوان كمصوّر يجسّد عدم العدالة و المساواة بين سطوح الشعب الإيراني:

((با آنكه شب، شهر را ديرگاهيست / با ابرها و نفس دودهايش / تاريك و سرد و مهآلود كردست / و سايه ها را ربودست و نابود كردست/ من با فسوني كه جادوگر ذاتم آموخت / پوشاندم از چشم از سايه ام را / با سايه خود در اطراف شهر مه آلود گشتم/ اينجا و آنجا گذشتم)) (أخوان ثالث،١٣٦٢: ٩٧)

كما نلاحظ أنَّ أخوان ثالث يصاحب مع ظلّه و يطأ في شوارع المدينة و يشاهد فقر الشعب، اشتراء الثروة الوطني (النفظ) و يتحمّل الناس أيّ نوع من حقارة لإكتساب لقمة العيش.

البيئة هي المربية الأولي للشاعر الرصافي، هي الأمّ التي يخفض لها جناح أدبه، و لها دور كبير في شعره لأنَّ حاله حال أي إنسان آخر يتأثر بما حوله، فهو لم يأت من كوكب آخر لذلك تكلّم في شعره عن حال أكثر من ثمانين بالمئة من سكان العراق الذين كانوا يعيشون في حالة الفقر والبؤس؛ وجهد مبلغ جهده لإسعاد المجتمع بتصوير حالة الفقراء والمحرومين واليتامى إثارة لإحساسات الآخرين لمعالجة دائهم، فاحترق حزناً كالشمعة التي تحترق لتنير الطريق لما حولها؛ لأنَّه كان يعلم إذا تجرّد من الإنسانية و الأخلاق، فقلمه يصبح شعره عبارة عن مهاترات عميقة. إنَّ الرصافي هو شاعر الإنسانية التي لا يحددها مذهب أو دين معين، بل هو مهتمّ بكلّ ما هو انساني؛ بلأنَّه مادّة أدبه الرئيسة التي يعيد صياغتها بطريقته الفنية الخاصّة و كأنَّه ينفخ الروح فيها، فتغدو كلمات قصيدته ((أم اليتيم)) التي تجسد واقع الأرمن في زمنه فقال:

أ مـــريم مهـــلاً بعـــض مـــا تذكرينـــه ... فإنَّـــك تـــرمين الفـــؤاد باســـهم

أ مـــــريم إنَّ اللّه لاشـــك نـــاقمٌ ... مـــن القـــوم في قتـــل النفـــوس المحـــرم

أ مـــريمُ فيمـــا تحكمـــين تبصـــري ... فـــإن أنـــت أدركـــتِ الحقيقـــة فـــاحكمي

فلـــيس بـــدين كـــل مـــا يفعلونـــه ... ولكنـــه جهـــلٌ وســـوء تفهـــم

لـــئن ملئـــوا الأرض الفضـــا جرائمـــاً ... فهـــم أجرمـــوا والـــدين لـــيس بمجـــرم

(الرصافي، د.ت، ٤١)

إنَّ أخوان ثالث يشكو من الظرائف الراهنة التي تسيطر على ايران و هذا من معطيات الفقر و عدم العدالة؛ و الشاعر في قصيدة ((خفته)) يجسّد قصراً عالياً يبني في سفح الجبل، و في صورة أخرى يصوّر رجلاً فقيراً دون ثوبٍ و طعامٍ يخطر بباله آلام متعدّدة و هكذا يرسم الشاعر هذين الصورتين المختلفين:

((تبير آه و قهقهه خاطر نشان كند

مفهوم بي عدالتي و نيش و نوش را

وين پرده فصيح مجسم عيان كند

دنياي ظلم و جور سباع و وحوش را)) (أخوان ثالث،١٣٧٩: ٢٣)

و كان الشاعر يفتخر بهذا الفقر لأنّ هذا الفقر يستوعب في بطنه مناعة الطبع والإنسانية كأنّه تاج يوصي إلى أجياله بحفاظه:

((آي دختر جان

همچنانش پاك و دور از رقعه آلودگان مي دار)) (آخر شاهنامه: ٣٧)

٧-٣. قضية تعليم المرأة

اعتبر الكثير من مصلحي عصر النهضة أن التعليم أساس صلاح المرأة وتمام كمالها؛ ويرفع من قدرها في نظر المجتمع، والتعليم في نظرهم يزيل عنها سخافة العقل والطيش الذي يصيب المرأة الجاهلة أحيانا، كما أنه يمكن المرأة من العمل على قدر قوتها وطاقتها، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة فإن فراغ أيده عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل

وقلوبه بالأهواء والافتعال، وعدا عن ذلك الجيل التي تنشئه المرأة الجاهلة الذي الا يكاد أن يميز بين الدرب المستقيم والمعوج. ومن خلال مجموعة من الأفكار أجمع المفكرون على ضرورة تعليم المرأة وتربيتها، ولكنهم لم يتفقوا على طريقة تربيتها؛ فبعضهم رأى أن تتعلم المرأة ما يعينها على تصريف أمور حياتها والقيام بواجبها كزوجة وأمّ على أن تهتم المدارس بالأمور التهذيبية؛ ورأى بعضهم الآخر أنه لا مانع أن تصعد الفتاة إلى أعلى الدرجات في العلم والمعرفة. تطرق الشاعر الرصافي إلى قضية مهمة ألا وهي تعليم المرأة. كانَ في زمنه تعليم المرأة أمرا مخالفا للتعاليم العرفية العشائرية؛ فيطرق إلى معالجة هذه القضية نثراً؛ فقال (الحالة الاجتماعية في كل أمة ثلاثة مصادر هي عنها صادرة ومنها مشتقة واليها راجعة، أولهما الوالدان أو الأسرة؛ ولاسيما الأم التي هي عماد الأسرة وثانيهما المدرسة أو المعلّم، وثالثهما الوسط أو المحيط؛ فمن أراد أن يسبر عن الأمة غور حالتها الاجتماعية ويعرف ما بها من نقص أو كمال، فليدرس منها تلك المصادر الثلاثة درسا متقننة، واهم هذه المصادر هو المصدر الأول، أعني الوالدين وخاصّةً الأم منهما؛ فان هذا المصدر أوّل مرحلة من مراحل التربية التي بها ينمو ما أودع الله في الطفل من القابلية للصلاح والاستعداد للكمال فإذا كان هذا المصدر فاسداً نشأ الطفل فاسداً وإذا كان صالح نشأ صالح)؛ فقال مخاطبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها:

أ أمّ المؤمنين إليكِ نشكو	مصيبتَنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة يا أمّ منها	تكاد نغض بالماء الفرات
تخذنا بعدك العادات ديناً	فأشقى المسلمون المسلمات
فقد سلكوا بهنَّ سبيلُ خسرٍ	وصدوهن عن سُبلِ الحياةِ
وعدوهن اضعف من ذباب	بلا جنح واهون من شذاة
ألـيس العلم في الإسلام فرضاً	على أبنائه وعلى البنات

(الرصافي، ٣٥٠)

لقد خاطب الرُّصافيُّ أمَّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها وعن أبيها، بوصفها أما النا جميعا ولاسيما النساء شاكيا لها محاربة أفراد المجتمع للمرأة ومنعها من حق التعليم الذي فرضه الإسلام الحنيف بنص حديث رسول الله ﷺ)، وقد نالت إعجاب النقاد لما حوته من

دعوة مهمة جداً لها أثرها في صميم المجتمع. فهذا الدكتور الناقد جلال الخياط يقول: ((فالرصافي - إذن - لم يهدف إلى أن يكون شاعرة وإنما كان قد هيأ نفسه ليكون معلماً أو مصلحاً اجتماعياً واتخذ من الشعر أداة لذلك الإصلاح)) (الخياط،١٩٧٠: ٥٩)إن شعر الرصافي حافل بمضامين اجتماعية مشتركة، تعالج ما شاع في المجتمع أنذاك، فتفاعل مع هذه الدعوة القراء باختلاف مستوياتهم الثقافية من باحثين ونقاد ومفكرين ولا يختلف اثنان على ريادته لهذا المضمار. فهذا الناقد الدكتور داود سلوم يسجل إعجابه بنتاج الرصافي فهو من المحبين الذين يعطفون على الإنسان الضعيف فهو قد عطف على المرأة ودافع عنها: مطلقة وفقيرة ومظلومة، ودافع عن الطفل الصغير يتيماً ومخدوعا وكان يفرح كفرح الأطفال حين تبنى مدرسة أو يبني ملجأ للأطفال ووضع في أشعاره كثيرا من قواعد النصح والإرشاد للشباب والمربين وهي نصائح محب للإنسان الضعيف و الطفل العاجز.(سلوم،١٩٧١: ١١٢)

أنيما من الرموز الأنثي التي تحضر في شعر مهدي أخوان ثالث و عندما يتفكر أخوان عن المرأة يخاطب أنيما دون إرادياً و هذا الأمر ينشأ عن نفسه:

بگو اي زن، بگو ديشب چرا خواب تو را ديدم،

كجا بوديم؟

[با هم از كجا مي آمديم، آن وقت شب تنها؟**]** (اخوان، ١٣٧٩: ٣٤)

و يتبين لنا آنيما زاوية واضحاً و أنَّ الشاعر يري نفسه و آنيما واحداً و يشيد معشوقه:

((اي تكيه گاه و پناه

زيباترين لحظه-هاي

پر عصمت و پر شكوه

تنهايي و خلوت من!)) (اخوان،١٣٦٣: ٧٣)

٧-٤. العدالة والحرية

تعني العدالة إعطاء كلّ شخصٍ ما يستحقه، أو إعطاء كلّ فردٍ حقَّه؛ وترتبط العدالة ارتباطاً وثيقاً بالمساواة؛ كما تستعمل العدالة للدلالة على معيار الحق وتُعدّ أهم سمة من

سمات العدالة الحياد والصدق وخلوها من المصلحة الشخصية أو مِن التحامل والمحاباة لأيّ شخصٍ كان (جاستيك،٢٠١٤: ٢٨). إنَّ أخوان يعدّ من الشعراء المعاصر الذي يبحث عن حرية الشعب وعدالتهم المفقودة. إنَّ الشاعر وظّف اللفظ (لك لك) رمزاً للإنسان المعاصر الذي لم يجد ملجأً لوصول إلى حرّ و نور العدالة والحرية في بيئة المجتمع الباردة والمخوفة؛ لكن لم يصل إلى ذلك النور والحرّ و كذلك لا يقبل منه رسالة راجياً وحالياً أصبح مهموماً ومتعباً ويشكو من هواجسه:

((مانده دور از كاروان كوچ / لك لك اندوهگين با خويش ميزد حرف / بيكران وحشت انگيزي ست / خامشِ خاكستري هم بارد و بارد / وين سكوتِ پير ساكت نيز/ هيچ پيغامي نمي آرد / پشت ناپيدايي آن دورها شايد/ گرمي و نور و نوا باشد / بالِ گرمِ آشنا باشد/ ليك من، افسوس / مانده از ره سالخوردي سخت تنهايم / ناتوانيهام چون زنجير برپايم))(أخوان،١٣٦٣: ١١٣)

إنَّ معروف الرُّصافي وقف كبقية الوطنين الوطنية في العراق بيسالة ووطنية مشهودة وشارك الوطن في معاناته وعاش المحنة أبان الحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني للعراق والثورة العراقية الكبرى ثورة العشرين والحكم الملكي وكان له مواقف وشواهد وري خلدها التاريخ للشاعر والأديب الرصافي من خلال استنهاض الهمم والمطالبة بالثورة على ظلم البريطانيين والقيام بحملة لتوعية وتثقيف الشعب ضد نوايا الاستعمار والمطالبة بإرجاع حقوق الشعب المغتصبة. وكان الرصافي في كل مجالات الحياة:

أيها المسلمون لستُم من الغر ... بِ بحال تستوجبونَ احتراماً

فإذا ما ملأتم الأرضَ عدلاً ... عُدّ جَورا، أو مَفخَراً عُدّ ذاما

وإذا ما فعلتم الخيرَ يوماً ... حَسِبوه جناية وأثاما

... إن تكن هذه السياسةٌ عدلاً ... فالي الظُلم نشتكي الآلاما

(الرصافي،١٩٨٦، ج٢: ٣٣٨)

يتصوّر الرصافي عدالةً بين أيدي الإستعمار الإنجليزي الذي يسمّي ظلم وجوره عدلاً والشاعر يتحدّث عن آلامه بلحن تهكمي ويعتقد: إن كان العدل هو الإستعمار الذي نراه هكذا لم يبق عدلاً ليحكم عن العدالة.

٨- نتائج البحث

إنَّ أهمّ النتائج التي نستنتج من هذه المقالة فيما يلي:

إنَّ أخوان يستفيد من الرموز الشعرية كثيراً و معروف الرصافي أقلّ منه يوظّف هذا العنصر الفنّي لإبراز عمّا يفكر به. و أهمّ المضامين الإجتماعية التي تشترك بين هذين الشاعرين هو عدم الحيوية والرخوة في المجتمع العراقي والإيراني، الفقر، العدالة، تعليم المرأة، و إلخ. الرموز التي يستخدمها أخوان منتج من طبيعته و هواجسه التي تخطر بباله والشاعر يسعى لكي يصلح مجتمعه الذي ينغمر في ورطة الضعف والتخلّف والرمز أحسن عنصر بياني تجاه الكبت السياسي والإجتماعي الذي يواجهها أخوان؛ ومعروف الرصافي مثل أخوان في نفس الظرائف السياسي الذي يسيطر الإستعمار الإنجليزي ولابدّ الشاعر يلجأ إلى الرمز و تعقيد في شعره حتى يتحدّث عن شعب وآلامهم النفسية. يلاحظ أنَّ معروف الرُّصافي قد وقف لنصرة المرأة والخروج بها من براثن الجهل والذي كان يعصف بها؛ فدعا إلى تعليمها منذ الصغر حتى الكبر و مهدي أخوان ثالث كذلك يؤكد على دور المرأة في المجتمع وأخوان يستفيد من الرمز آنيما ليتحدّث عن المرأة الإيرانية كأنَّ كليهما أصبحا إنساناً واحداً وهذا الرمز العريقة يتكوّن في شعر أخوان وأصبح معشوق الشاعر.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٨٨م)، ((لسان العرب))، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.

٢- أحمد، محمد فتوح، (١٩٨٤م)، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية.

٣- اخوان ثالث، مهدي (١٣٦٣)، آخر شاهنامه، الطبعة الثامنة، طهران، مروارید.

٤- اخوان ثالث، مهدي (١٣٦٢)، از این اوستا، الطبعة السادسة، طهران، مروارید.

٥- اخوان ثالث، مهدي (١٣٧٥)، ارغنون، الطبعة الرابعة، طهران، مروارید.

٦- اخوان ثالث، مهدي (١٣٧١)، تو را اي كهن بوم و بر دوست دارم، الطبعة الرابعة، طهران، مروارید.
٧- اخوان ثالث، مهدي (١٣٧٩)، درحيات كوچك پاييز در زندان، الطبعة أحد عشرة، طهران، زمستان.
٨- اخوان ثالث، مهدي (١٣٧٩)، دوزخ اما سرد، الطبعة التاسعة، طهران، زمستان.
٩- اخوان ثالث، مهدي (١٣٨٦)، زمستان، الطبعة العشرين، طهران، زمستان.
١٠- اخوان ثالث، مهدي (١٣٧٢)، زمستان، الطبعة الثالث عشرة، طهران، مروارید.
١١- اخوان ثالث، مهدي (١٣٧٩)، زندگي مي گويد: اما بايد زيست...، الطبعة التاسعة، طهران، زمستان.
١٢- الأعظمي، وليد (٢٠٠١)، أعيان الزمان و جيران النعمان في مقبرة الخيزران، بغداد: مكتبة الرقيم.
١٣- براهني، رضا (١٣٧١)، طلا در مس، طهران: منشورات نويسنده.
١٤- بركة، محمد (٢٠٠٥)، مجلة مفكرة الإسلام، مقالة معروف الرصافي و قصيدته يوم الفلوجة، لانا.
١٥- تشادويك، تشارلز،(١٣٨٥ش)، سمبوليسم، ترجمة مهدي سحابي، طهران: نشر مركز، الطبعة الرابعة.
١٦- حقيقت، عبدالرفيع (١٣٦٨)، فرهنگ شاعران زبان پارسي، طهران: شركت مؤلفان و مترجمان ايران.
١٧- الخياط جلال (١٩٧٠)، الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطوّر، بيروت: دار صادر، د.ط.
١٨- الرصافي، (د.ت)، ديوان الرصافي، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر.
١٩- الرصافي، (١٩٨٦)، ديوان، مجلدين، بيروت: دار العودة.
٢٠- زكي، محمد أمين (١٩٤٥)، مشاهير كرد و كردستان، بغداد: مطبعة التفيض الأهلية.
٢١- سلوم، داود (١٩٧١)، مقالات عن الجواهري و آخرين، النجف: مطابع النعمان، د.ط
٢٢- عباس، إحسان،(١٩٩٦م)، فن الشعر، بيروت: دار صار، الطبعة الأولي.
٢٣- عزالدين، يوسف (١٩٦٠)، الشعر العراقي الحديث و اثر التيارات السياسية و الاجتماعية فيه، بغداد: مطبعة اسعد، د.ط
٢٤- عشري زايد، علي (٢٠٠٨م).عن بناء القصيدة العربيّة الحديثة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولي.
٢٥- الفاخوري، حنا (٢٠٠٢)، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث، بيروت: دار الجيل
٢٦- اليسوعي، روبرت كامبل، (١٩٩٦)، أعلام الأدب العربي المعاصر، بيروت: مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر جامعة القديس يوسف.